

ديوان الحلاّج

جمع المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون

القسم الأول

حلاّجيات

القصيدة الأولى: التلبية

لبّيكَ لبّيكَ يا سرّي و نجوائـي　　لبّيك لبّيك يا قصدي و معنائي
أدعوك بلْ أنت تدعوني إليك فهلْ　　ناديتُ إيّاك أم ناجيتَ إيّائـي
يا عين عين وجودي يا مدى هممي　　يا منطقي و عباراتي و إعيائي
يا كلّ كلّي يا سمعي و يا بصري　　يا جملتي و تباعيضي و أجزائي
يا كلّ كلّي و كلّ الكلّ ملتبس　　و كل كلّك ملبوس بمعنائـي
يا من به عُلقَتْ روحي فقد تلفت　　وجدا فصرتَ رهينا تحت أهوائي
أبكي على شجني من فرقتي وطني　　طوعاً و يسعدني بالنوح أعدائي
أدنو فيبعدني خوف فيقلقني　　شوق تمكّن في مكنون أحشائي
فكيف أصنع في حبّ كَلِفْتُ به　　مولاي قد ملّ من سقمي أطبّائي
قالوا تداوَ به منه فقلت لهم　　يا قوم هل يتداوى الداء بالدائـي
حبّي لمولاي أضناني و أسقمني　　فكيف أشكو إلى مولاي مولائـي
آنّي لأرمقه و القلب يعرفه　　فما يترجم عنه غير ايمائـي
يا ويحَ روحي من روحي فوا أسفي　　عليَّ منّي فإنّي اصل بلوائـي
كانّني غَرق تبدو أناملـه　　تَغوثّاً و هو في بحر من الماء
وليس يَعْلَم ما لاقيت من احدٍ　　إلا الذي حلَّ منّي في سويدائي
ذاك العليم بما لاقيت من دنفٍ　　و في مشيئتِه موتي و إحيائـي
يا غاية السؤل و المأمول يا سكني　　يا عيش روحي يا ديني و دنيائي
قُلْ لي فَدَيْتُكَ يا سمعي و يا بصري　　لِمْ ذا اللجاجة في بُعدي و إقصائي
إن كنتَ بالغيب عن عينيَّ مُحْتَجِباً　　فالقلب يرعاك في الأبعاد و النائي

***

القصيدة الثانية: جواب في حقيقة الإيمان

للعلم أهلٌ و للإيمان ترتيـب   و للعلـوم و أهْلِيها تجاريب
و العلم علمان منبوذ و مكتسب   و البحر بحران مركوب و مرهوب
و الدهر يومان مذموم و ممتدح   و الناس اثنان ممنوح و مسلوب
فاسَمعْ بقلبك ما يأتيك عن ثقـةٍ   و انظرْ بفهمك فالتمييز موهوب
إنـي ارتقيتُ إلى طودٍ بلا قدمٍ   له مَراقٍ على غيري مصاعيـب
و خُضْتُ بحراً و لم يرسب به قدمي   خاضَتْهُ روحي و قلبي منه مرغوب
حَصْبَاؤُه جوهرٌ لم تَدْنُ منه يدٌ   لكنه بِيَدِ الأفهام منهوب
شربتُ من مائـه رَياً بغير فم   و الماء قد كان بالأفواه مشـروب
لأن روحي قديماً فيه قدْ عطشتْ   و الجسم [ما] ماسَهُ من قبل تركيب
إنـي يتيمٌ و لي أبٌ أَلُوُذ بـه   قلبـي لِغيْبَتِهِ ما عشْتُ مكروب
أعمى بَصيرٌ و إنـي أبْلَه فَطِنٌ   و لـي كلام إذا ما شئتُ مقلوب
ذُوِ فَتَا عرفوا [ما] قد عرفت فَهْمُ   صَحْبِيَ ومن يُحْظ بالخيرات مصحوب
تعارفَتْ في قديم الذّر أَنْفُسهم   فأشرقَتْ شمسهم و الدهر غربيب

* * *

القصيدة الثالثة: جواب إلى شبلي

يا موضع الناظر من ناظري   و يا مكان السرّ من خاطري
يا جملة الكلّ التي كلهـا   أحبّ من بعضي و من سائري
تراك ترثي للذي قلبـه   مُعَلَق في مخلبي طائـر
مذَلَةٌ حيرانُ مستوحـشٌ   يهرب من قفر إلى آخـر
يسري و ما يدري و أسراره   تسري كلمح البارق النائر
كسرعة الوهم لِمَنْ وهمه   على دقيق الغامض الغابر
في لجّ بحر الفكر تجري به   لطائف من قدرة القـادر

***

القصيدة الرابعة: مراحل على الطريق

سكوتٌ ثم صمتٌ ثم خَرْسُ ... و عِلْمٌ ثم وَجْدٌ ثم رَمْـــس
و طينٌ ثم نارٌ ثم نــــورٌ ... و بردٌ ثم ظلّ ثم شمـــس
و حَزْنٌ ثم سهل ثم قَفْــر ... و نهر ثم بَحْرٌ ثم يَبْـــس
و سكر ثم صَحْوٌ ثم شوقٌ ... و قرب ثم وفر ثم أَنْـــس
و قَبْضٌ ثم بسط ثم مَحْوٌ ... و فرق ثم جمع ثم طَمْـــس
و أَخْذٌ ثم ردّ ثم جـذبٌ ... و وصف ثم كشف ثم لبــس
عبارات لأقوامٍ تساوتْ ... لديهم هذه الدنيا و فِلْـــس
و أصوات وراء الباب لكن ... عبارات الورى في القرب همس
وآخر ما يَؤول إليه عَبْد ... إذا بلغ المدَى حظّ و نفــس
لأنّ الخلق خدّام الأمانــي ... و حقّ الحقّ في التحقيق قُدْس

***

القصيدة الخامسة: الأهوال أمانات عند أهلها

مَن سارروه فأبدى كلّما ستـروا و لم يراع اتّصالاً كان غَشّاشـا
إذا النفوس أذاعت سرّ ما علمت فكل ما خلت من عقلها حاشـا
من لم يصن سرّ مولاه و سيّده لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
و عاقبوه على ما كان من زَلَلٍ و أبدلوه مكان الأُنْس ايحاشــا
و جانبوه فلم يصلح لِقُرْبِهِــم لمّا رأوه على الأسرار نبّاشــا
من أطلعوه على سرّ فنمَّ بـــه فذاك مثل يبين الناس طيّاشــا
هم أهل السرِّ و للأسرار قد خُلقوا لا يصبرون على ما كان فحَّاشا
لا يقبلون مذيعاً في مجالسهــم و لا يحبّون سِتْراً كان وَشْواشا
لا يصطفون مضيفاً بعْض سرّهم حاشا جلالهم من ذلِكم حاشـا
فَكُنْ لهم و بهم في كلّ نائبــةٍ إليهم ما بقي الدهر هشّاشــا

***

القصيدة السادسة: نـاي (في وصف فقد حاله)

أَنْعَى إليك نفوساً طاح شاهدُها   فيما وراء الحيثِ يَلْقَى شاهد القِدَم
أنْعي إليك قلوباً طالما هَطَلَتْ   سحائبُ الوحي فيها أبْحُر الحكم
أنعي إليك لسان الحق مُذ زمن   أودى و تذكاره في الوهم كالعدم
أنعي إليك بيانا تستكين له   أقوال كل فصيحٍ مِقْوَل فهـــم
أنعي إليك أشارات العقول معاً   لم يبق منهنّ إلا دارس الرمـم
أنعي و حُبّك أخلاقاً لِطائفةٍ   كانت مطاياهم من مكمد الكظم
مَضَى الجميع فلا عين و لا أثُر   مُضِيَّ عادٍ و فُقْدانَ الألى إِرَم
و خَلّفوا معشراً يجرون لبستهم   أعْمى من البهم بلْ أعمى من النعم

***

القصيدة السابعة

أشار لحظي بعين علِـم   بخالصٍ من خِفّي وَهْم
و لائحٌ لاح في ضميـري   أدقّ من فهم وهم همّي
و خضتُ في لجّ بحر فكري   أمُرُّ فيه كمرّ سهــم
و طار قلبي بريش شوقـي   مركّب في جناح عزمي
إلى الذي عن سُئلتُ عنـه   رمزت رمزاً و لم اسمّي
حتّى إذا جُزْتُ كل حــدّ   في فلوات الدنّو أهْمِـي
نظرت إذ ذاك في سَجَـالٍ   فما تجاوزتُ حدّ رَسْمي
فجئتُ مستسلما إليــه   حدّ قيادي بكفتّ سلْمـي
قد وسم الحبّ منه قلبي   بميسم الشوق أي وسـم
و غاب عنّي شهود ذاتي   بالقرب حتّى نسيتُ اسمي

***

القصيدة الثامنة

لم يبق بيني و بين الحقّ تِبْيَانـي	و لا دليل و لا آيات برهـان
هذا تجلّى طلوع الحقّ ِ نائـرةً	قد أَزْهَرَتْ في تلألُيها بسلطـان
كان الدليل له منه إليه بـــه	مِن شاهدِ الحقّ ِبل عِلماً بِتِبْيـان
كان الدليل له منه به و لـــه	حقـًّا وجدناه في تنزيل فـُرقان
لا يستدلُّ على الباري بصنعتـه	و أَنْتُمُ حَدَثٌ يُنْـبِـي بأزمـان
هذا وجودي و تصريحي و معتقدي	هذا تـَوَحـُّدُ توحيدي و إيماني
هذا عبارة أهل الانفراد بــه	ذوي المعارف في سرّ و إعلان
هذا وجودُ وجودِ الواجدينَ لـه	بني التجانـُس ِأصحابي وخُلَّاني

***

القصيدة التاسعة

عجبتُ منك و منّـي　　　يا مُنْيـَةَ المُتـَمَنِّـي
أدنيتـَني منك حتـّى　　　ظننتُ أنـّك أنـّـي
وغبتُ في الوجد حتـّى　　　أفنيتنـَي بك عنـّـي
يا نعمتي في حياتـي　　　و راحتي بعد دفنــي
ما لي بغيرك أنــسٌ　　　من حيث خوفي وأمنـي
يا من رياض معانيـهْ　　　قد حّويْت كل فنـّي
وإن تمنيْت شيْــاً　　　فأنت كل التمنـّــي

***

القصيدة العاشرة

أَقْتُلُوني يا ثقاتـــي إنّ في قتـْلي حياتــــي
و مماتـي في حياتـي و حياتي في مماتـي
أنّ عـندي محْو ذاتـي من أجّل المكرمـات
و بقائـي في صفاتـي من قبيح السّيّئــات
سَئِمَتْ نفسـي حياتـي في الرسوم الباليـات
فاقتلونـي واحرقونـي بعظامـي الفانيـات
ثم مـرّوا برفاتـــي في القبور الدارسـات
تجدوا سـرّ حبيبـي في طوايا الباقيــات
إننـي شيـخ كبيـر في علوّ الدارجــات
ثم إنـّي صرتُ طفلا في حجور المرضعات
ساكنـاً في لحد قبـر في أراضٍ سبَخــات
وَلدَتْ أمّــي أباهـا أنَّ ذا من عجبـاتـي
فبناتـــي بَعْدَ أنْ كـ ـن بناتـي أخواتــــي
ليس من فعل زمــان لا و لا فعل الزنــات
فاجمعوا الأجزاء جمعاً من جسـورٍ نيـرات
من هـواء ثم نــار ثم من ماء فــرات
فازْرعوا الكلّ بأرض ٍ تـُرْبُها تـرب مـوات
وتعاهـدها بســقي من كـؤوس دائـرات
من جـوار ٍساقيـات و سـواق ٍجاريــات
فإذا أتممت سبعـــا أنبتـَتْ خير نبــات

***

القصيدة الحادية عشر

يا طالما غِبْنا عن أشباح النظـر   بنقطَةٍ تحْكِي ضياءُها القمـرْ
من سمسم و شيرج و أحــرف   و ياسمين في جبين قد سطر
تمشوا و نمشي و نرى أشخاصكم   و أنتم لا ترونـّا يا دبــر

***

مقطعات

(1)

و أيّ أرض تخلو منك حتّى تعالوا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون إليك جهراً وهم لا يبصرون من العماء

***

(2)

إلى كم أنت في بحر الخطايا تبارز من يراك و لا تراه
وسمتُك سمت ذي ورعٍ تقّيٍ و فعْلك فعل متبع هواه
فيا من بات يخلو بالمعاصي وعين الله شاهدة تراه
أتطمع أن تنال العفو ممّا عصمتَ و أنت لم تطلب رضاه
فتبْ قبل الممات وقبل يوم يلاقي العبد ما كسبت يداه
أتفرح بالذنوب والخطايا و تنساه و لا أحد سواه

***

(3)

كانت لقلبي أهواءٌ مفرّقة فاستجمعَتْ مُذْ راءَتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرتُ مولى الورى مُذْ صرتَ مولائي
ما لامني فيك أحبابي و أعدائي إلّا لغفلتهم عن عظم بلوائي
تركتُ للناس دنياهم و دينهم شغلاً بحبّك يا ديني و دنيائي
أشعلتَ في كبدي نارين واحدة بين الضلوع و أخرى بين أحشائي

***

(4)

إذا دهمَتـْك خيول البعـــاد   ونادى الاياس بقطع الرجـا
فخُذْ في شمالك ترس الخضوع   و شـُدّ اليمين بسيف البكـا
و نـَفْسَك نَفْسَك كُنْ خائفاً   على حذر من كمين الجفا
فإن جاء الهجر في ظلمـــة   فسِرْ في مشاعل نور لصفا
فقـُلْ للحبيب ترى ذلـّـتي   فجُدْ لي بعفوك قبل اللقـا
فـَوَ الحُبِّ لا تنثنِي راجعـاً   عن الحِبِّ إلّا بِعَوْض ِالمنـا

***

(5)

سبحان من اظهر ناسوتـُهُ   سـّر سنا لاهوتِه الثاقـب
ثم بـدا في خلقه ظاهـراً   في صورة الآكل و الشارب
حتـّى لقد عَايـَنَهُ خَلْقـُه   كلحْظِة الحاجب بالحاجـب

***

(6)

كتبتُ ولم أكـُتبْ إليك و إنـّما   كتبتُ على روحي بغير كتابِ
و ذلك أنّ الروح لا فرق بينها   و بين مُحِبـِّها بِفَصْلِ خطابِ
و كلّ كتابٍ صادر منك وارد   إليكِ بلا ردّ الجواب جـواب

***

(7)

أريدُك لا أريدك للثواب   و لكنّي أريدك للعقاب
فكلّ مآربي قد نِلْتُ منها   سوى ملذوذِ وجدي بالعَذَاب

***

(8)

كَفَى حَزَناً أنّي أناديك دائمـا   كأنّي بعيدٌ أو كأنّك غائب
و أطْلُبُ منك الفضل من غير رغبةٍ   فلم أر قبلي زاهدا فيك راغب

***

(9)

طَلَعَتْ شمس من أحبّ بلَيّلٍ فـ   ـاستنارت فما عليها من غروب
عن شمس النهار تطلع باليلـ   ـلِ وشمس القلوب ليس تغيب

***

(10)

رأيتُ ربّي بعين قلبِ   فقلتُ من أنت قال أنت
فليس للأين منك أينٌ   و ليس أين بحيثُ أنت
و ليس للوهم منك وهمٌ   فيعلم الوهم أين أنت
أنت الذي حُزْتَ كل أين   بنحو لا أينَ فأينَ أنت
و في فنائي فنا فنائي   و في فنائي وجدت أنت

* * *

(11)

لي حبيبٌ أزور في الخلوات حاضر غائب عن اللحظات
ما تراني أصغي إليه بسمعٍ كي أعي ما يقول من كلمات
كلمات من غير شكل ولا نطق و لا مثل نغمة الأصوات
فكأنّي مخاطب كنت إيَّاه على خاطري بذاتي لذاتي
حاضر غائب قريب بعيدٌ وهو لم تحوه رسوم الصفات
هو أدل من الضمير إلى الوهم و أخفى من لائح الخطرات

***

(12)

سرّ السرائر مَطْويٌّ بإثْبَاتِ في جانب الأُفْقِ من نور بطِيَّات
فكيف والكيف معروف بظاهره فالغيب باطنه للذاتِ بالذات
تَاهَ الخلائقُ في عمياءَ مظلمةٍ قصدا و لم يعرفوا غير الإشارات
بالظنّ و الوهم نحو الحقّ مطلبهم نحوَ الهواء يناجون السماوات
و الربّ بينهم في كل منقلب مُحِلَّ حالاتهم في كل ساعات
و ما خلوا منه طرف عين لو علموا و ما خلا منهم في كل أوقات

***

(13)

فما لي بُعْدٌ بَعْدَ بُعْدِكَ بَعْدَما تيَقَّنْتُ أنّ القرب والبُعد واحد
وإنّي وإن أُهْجِرتُ فالهَجْرُ صاحبي وكيف يصحّ الهجر والحُبّ واجد
لك الحمد في التوفيق في محضِ خالصٍ لعبدٍ زكيّ ما لغيرك ساجد

***

(14)

لا تلمنّي فاللوم منّي بعيد وأَجِرْ سيّدي فإنّي وحيد
إنّ في الوعد وَعْدك الحقّ حقاً إنّ في البدء بدء أمري شديد
مَن أراد الكتاب هذا خطابي فاقرؤا وأعلموا بأنّي شهيد

***

(15) و (16)

قد تصبّرتُ و هل يصـ ـبرُ قلبي عـن فؤادي
مازجَتْ روحُك روحي في دنوٍ وبعـادي
فأنا أنت كمـا أنـ ـك أنـي و مــرادي

أنتم ملكتم فؤادي فهِمْت في كلّ وادي
ودقّ على فؤادي فقد عدمت رقادي
أنا غريبا وحيدا بكم يطول إنفرادي

***

(17)

حقيقة الحقّ مُسْتنِيَر صارخه بالنبا خبيـر
حقيقة الحقّ قد تجلّتْ مَطْلب من رامها عسير

***

(18)

أنت المُوَلِهُ لي لا الذكر ولّهني حاشا لقلبي أنْ يَعْلَق به ذِكَرى
الذكر واسطةٌ تـُخْفِيك عن نظري إذا توشّحَهُ من خاطري فكري

***

(19)

مواجِيدُ حَقٍ أَوْجَدَ الحــقُّ كلّها و إنْ عجزَتْ عنْها فهوم الاكابر
وما الوجد إلا خطرة ثم نظـــرة تـُنَشّي لهيبا بين تلك السرائر
إذا سكن الحقُّ السريرةَ ضُوعفتْ ثلاثة أحوال لأهل البصائــر
فحالٌ تـُبيدُ السرَّ عن كنْهِ وِجِـدِه وتـُحْضِرُهُ بالوجد في حال حائر
و حالٌ به زُمَّتْ قوى السرّ فأنْثنَتْ إلى مُنْظِرٍ أفناه عن كلّ ناظر

***

(20)

الاحتمال الأول

إذا بلغ الصبُّ الكمال من الفَتَى ويذهل عن وصل الحبيب من السُّكر
فيشهد صدْقاً حيث أشهده الهوى بأنّ صلاة العاشقين من الكفــر

الاحتمال الثاني

إذا بلغ الصبُّ الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقّاً حين يشهده الهوى بأنّ صلاة العارفين من الكفــر

***

(21)

عَقَدْ النبوّة مِصْباح من النــور مُعَلّقُ الوَحي في مشكاة تأمــور
بالله يُنْـفَخُ نَفْخ الروح في جَلَدِي بخاطري نَفْخَ اسرافيلَ في الصور
إذا تجلّى لطــوري أن يُكلّمني رَأَيْتُ في غيبتي موسى على الطور

***

(22)

لأنوار نور الدين في الخلق أنوارُ و للسرّ في سرّ المسرّين أسرار
وللكون في الأكوان كون مُكَوّنٍ يكنُّ له قلبي و يهدي و يختـار
تأمّلْ بعين العقل ما أنا واصـف فللعقلِ أسماع وُعَاة و أبصـار

***

(23)

سكنتَ قلبي و فيه منك أســـرار فليَهْنِك الدار بلْ فليهنك الجـارُ
ما فيه غيرك من سرٍّ عَلِمْتُ بـــه فأنْظُرْ بعينك هل في الدار ديّار
و ليلة الهجرِ إنْ طالتْ و إن قَصُرَتْ فمؤنسي أملٌ فيه وتذكـــار
إنّي لراضٍ بما يرضيك من تلفـــي يا قاتلي و لِمَا تختار اختـــار

***

(24)

الحبّ ما دام مكتوماً على خطـرٍ وغاية الأمْنِ أن تدنو من الحـــذر
و أطيب الحبّ ما نمّ الحديث بــه كالنارِ لا تأتِ نفعاً و هي في الحجـر
من بعْدِ ما حضر السحاب و اجتمعا الأعوانُ و امتطّ أسمى صاحب الخبر
أرجُو لنفسي براء من محبّتكـــم إذا تبرّأت من سَمعي ومن بصـــري

***

(25)

غِبْتَ و ما غبتَ عن ضميري و صرْتَ فرحتي و سروري
وانفصل الفصل بافتـــراق فصار في غيبتي حضوري
فأنت في سرّ غيبِ همّـــي أخفى من الوهم في ضميري
تؤنسني بالنهار حقـــاً وأنت عند الدجى سميري

***

(26)

يا شمس يا بدر يا نهار أنت لنا جنـّة و نــار
تَجنُّبُ الإثِم فيك ثم إثمٌ وخاصّية العار فيك عار
يخلعُ فيك العذار قـومٌ وكيف من لا لـه عـذار

***

(27)

أحرف أربع بها هام قلبي و تلاشت بها همومي و فكري
أِلفٌ تألف الخلائق بالصنـْـ ـع ِولامٌ على الملامة تجـري
ثمّ لامٌ زيادة في المعانـي ثمَّ هاءٌ أهيمُ بهـا أتــدري

***

(28) و(29)
لماذا رفض الشيطان السجود لآدم

الاحتمال الأول

جحودي فيك تقديس و عقلي فيك تـهويـس
و مـــا آدم إلاك و من في البين إبليس

الاحتمال الثاني

جُنُوني لك تقديس   و ظنّي فيك تهويس
و قد حيّرني حِبٌّ   وطرْفٌ فيه تقويس
و قد دلّ دليل الحُبّ   أن القرب تَـلْبيس
فمن آدم إلاك   ومن في البين إبليس

* * *

(30)

حويتُ بكـُلّي كلّ حُبّك يا قـُدْسي   تكاشفني حتـّى كأنـّك في نفسي
أقلّب قلبي في سواك فلا أرى   سوى وحشتي منه و منك به أنْسي
فها أنا في حَبس الحياة مجمَّع   من الأنس فاقبضْني إليك من الحبْس

***

(31)

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت   إلا و حبّك مقرون بأنفاسي
ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهم   إلا و أنت حديثي بين جلاسي
ولا ذكرتك محزوناً و لا فَرِحا   إلا و أنت بقلبي بين وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش   إلا رَأيْتُ خيالاً منك في الكأس
ولو قدرتُ على الإتيان جئتـُكم   سعياً على الوجه أو مشياً على الرأس
ويا فتى الحيّ إن غنّيت لي طربا   فغنّني وأسفا من قلبك القاسي
ما لي وللناس كم يلحونني سفها   ديني لنفسي ودين الناس للناس

***

(32)

يا نسيم الروح قولي للرشا   لم يزدني الوِرْد إلا عطشا
لي حبيبٌ حبّه وسط الحشا   إن يشا يمشي على خدّي مشا
روحه روحي وروحي روحه   إن يشا شئتُ وإن شئتُ يشا

***

(33)

عجبتُ لكلّي كيف يحمله بعضـــي ومن ثقل بعضي ليس تحملني أرضـــي
لئن كان في بسط من الأرض مَضْجَعٌ فبعضي على بسط من الأرض في قبضي

***

(34)

ما زلتُ أطفو في بحار الهوى يـرفـعـنـي المَـوْجُ و انحطّ
فتارةً يـرفعني مَـوْجُـها وتـارة أهـوى وانـغـطّ
حتّى إذا صيَّرني في الـهوى إلى مـكـان مـا لـه شـطّ
ناديتُ يا من لم أبُـح بإسمـه ولم أخُـنْـهُ في الهـوى قطّ
تقيك نفسي السُّـوء من حاكم ما كان هذا بيننـا شـرط

***

(35)

مكانُك من قلبي هو القلب كـلّـه فليس لخلق ٍفي مكانك موضـــع
وحَطّتْك روحي بين جلدي وأعظامي فكيف تراني إن فقدتك اصنـــع

***

(36)

إذا ذكرتك كاد الشوق يقلقني وغفلتي عنك أحزانٌ وأوجاع
وصار كلّي قلوباً فيك داعية للسقم فيها وللآلام إسـراع

***

(37)

نديمي غير منسـوبٍ إلى شيءٍ من الحيـف
سقاني مثلما يشـرب كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكـأس دعا بالنطع و السيف
كذا من يشرب الراح مع التِنين في الصيف

***

(38)

صَيَّرني الحقّ بالحقيقةْ   بالعهد والعقد والوثيقةْ
شَاهَدَ سرّي بلا ضميري   هذاك سرّي وذا الطريقةْ

***

(39)

وَجّدْنِي واحدي بتوحيدِ صِدْقٍ   ما إليه من المسالك طَرقُ
أنا الحقُّ و الحقُّ للحقِّ حقٌّ   لاَبِسٌ ذاتَهُ فما ثمّ فَرْقُ
قد تَجَلّتْ طوالعٌ زاهراتٌ   يتشعشعْنَ في لوامع بَرْقِ

***

(40)

ركوبُ الحقيقة للحقِّ حقٌّ   ومعنى العبارة فيه تدقّ
رَكِبْتُ الوجودَ بعين الوجودِ   وقلبي على قسوةٍ لا يَرِقّ

***

(41)

جبلتْ روحك في روحي كما   تجبل العنبر بالمسك الفتقْ
فإذا مسَّك شيءٌ مسَّني   فإذاً أنت أنا لا نفترقْ

***

(42)

دَخَلْتَ بناسوتي لديك على الخلق   ولولاك لاهوتِي خَرجْتُ من الصِدْق
فإنّ لسان العلم للنطق و الهدى   وإنّ لسان الغيب جلّ عن النطق
ظهرتَ لقومٍ والتبستَ لفتيةٍ   فتاهوا وضلّوا واحتجبتَ عن الخلق
فتظهر للألباب في الغرب تارةً   وطورا على الألباب تغرب في الشرق

***

(43)

فيك معنى يدعو النفوسَ إليك   ودليل يدلّ منك عليْك
لِـيَ قلـبٌ له إليك عيـونٌ   ناظراتٌ وكلّهُ في يدَيْك

***

(44)

همّي بـه وَلَـهٌ عليك   يا من إشارتنا إليك
روحان ضمهما الهَوَى في   مِدْحَتِك وفي لديك

***

(45)

دُنْيَا تُخَادِعُنِي كأنّـي   لستُ أعرف حالهـا
ذمّ الإلـهُ حرامهـا   وأنا اجتنبت حلالهـا
مدَّتْ إلـيَّ يمينهـا   فرددْتها وشمالهـا
ورايتـُها محتاجـة   فوهبتُ جملتها لهـا
ومتى عرفت وصالها   حتـّى أخاف ملالها

***

(46)

عليك يا نفس بالتسلّـي   العـزّ بالزهد و التخلّـي
عليك بالطلْـعة التـي   مشكاتها الكشف و التجلّي
قد قام بعضي ببعض بعضي   و هام كلـي بكـلّ كلـي

***

(47)

مُزِجت روحك في روحي كما   تمزج الخمرة بالماء الزلال
فـإذا مسَّك شيء مسّنـي   فإذاً أنت أنا في كلّ حـال

***

(48)

نِعْمَ الإعَانَةُ رَمْزٌ في خفا لُطْـفٍ   في بارقٍ لاحَ فيها من حُلَى خِـلـلَـهْ
والحال يرمقني طوراً وأرْمُـقـهُ   إن شا يغشى على الإخوان من قَلَـلِـهْ
حال إليه رأى به فيه بِـهِـمّتـه   عن فيض بحرٍ من التمويه من مِـلَـلِـهْ
فالكـلّ يشـهده كـُلاً وأشـهـده   مع الحقيقة لا بالشخص من طـلـلـهْ

***

(49)

ثلاثة أحرف لا عُجْـمَ فيهـا   ومعجومان ِوانقطع الكـلام
فمعجـومٌ يشاكـل واجديِـهِ   ومتروكٌ يُصَـدّقـهُ الأنـام
وباقي الحَرْفِ مِرموزٌ مُعَمَّى   فلا سفر ينـال و لا مقـام

***

(50)

تفكّرتُ في الأديان جدَّ تحقّقٍ   فألفيتها اصلاً له شُعَباً جّما
فلا تـطْلُبَنْ للمرء ديناً فإنّه   يُصَدُّ عن الأصل الوثيق وإنّما
يطالبه اصلٌ يعبِّر عنده   جميعُ المعالي والمعاني فـَيَفْهَمَـا

***

(51)

يا لائمي في هواه كم تلوم فلَوْ   عرَفْتَ منـه الـذي عنيت لـم تـَلُمِ
للناس حجّ ولي حجّ إلى سكني   تُهْدَى الأضاحي وأهْدِي مُهْجَتِي وَدَمِي
تطوف بالبيت قومٌ لا بجـارحـةٍ   باللهِ طافوا فأغنـاهم عـن الحَـرَمِ

***

(52)

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه ولاح صباحٌ كنت أنت ظلامه
وأنت حجاب القلب عن سرّ غيبه ولولاك لم يطبع عليه خاتمه

***

(53)

هيكليّ الجسم نوريّ الصميم صمديّ الروح ديّان عليم
عاد بالروح إلى أربابها فبقي الهيكل في الترب رميم

(54)

قلبك شيء وفيه منك أسماء لا النور يدري به كلّا ولا الظلم
ونور وجهك سرّ حين أشهده هذا هو الجود والإحسان والكرم
فخُذْ حديثي حِبِّي أنت تعلمه لا اللوح يعلمه حقاً ولا القلم

***

(55)

آهٍ أنا أم أنْتَ؟ هَذَيْن ِإلهَيْن ِ حاشاي حاشاي مِن إثبات أثنَيْن ِ
هـويةٌ لك في لايئتي ابَـداً كلّي على الكلّ تلبيسٌ بِوَجْهَيْن ِ
فـأَيْنَ ذاتك عنّي حيث كنت أرى فقد تبَيّنَ ذاتي حيث لا أين
وأيْنَ وَجْهُك مقصود بناظرتّي في ناظر القلب أم في ناظر العين
بَيْنِي وبَيْنك أنّيّ يُزاحِمُني فارفعْ بِأنكّ أنّي مِن البين

***

(56)

ألا أبْلغْ أحبّائي بأنّي ركبتُ البحر وانكَسرَ السفينةْ
على دين الصليب يكون موتي و لا البطحا أريد ولا المدينة

***

(57)

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا نحن روحان ِحَلَلْنا بدنا
فـإذا أبصرتـني أبصرتـهُ و إذا أبصرتـهُ أبصرتـنـا

***

(58)

يا غـافلاً لجهالـةٍ عن شأني هلّا عـرفـتَ حقيقتـي وبيانـي
أعِبـادة لِلَّهِ ستـّة أحــرفٍ مِـن بينها حرفـان معجومــان
حرفان اصليّ وآخُـر شَكْلُـه في العجـم منسوب إلى إيـماني
فإذا بدا رأس الحروف أمامها حرفٌ يقـوم مقـام حرف ثـان
أبصرتَني بمكان موسى قائما في النور فوق الطور حين تراني

***

(59)

خاطَبِني الحقّ من جناني فكان علمي علـى لساني
قربّني منه بَعْدَ بُعْـدٍ وخصَّني الله و اصطفاني

***

(60)

كـذا اجتباني وأدناني وشرّفنـــي والكـلّ بالكـلّ أوصاني وعرّفني
لم يبق في القلب والأحشاءِ جارحةٌ إلّا وأعْرفه فيـهـا ويعرفنــي

***

(61)

أنْتَ بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع من أجفاني
وتُحِلُّ الضميرَ جوفَ فـؤادي كحلول الأرواح فـي الأبدان
ليس من ســاكن ٍتَحَرَّكَ إلّا أنت حَرَّكْتَهُ خَفَّي المكــان

يا هـلالاً بدا لأربع عشـرٍ   لثمـانٍ وأربـعٍ و اثنــان

***

(62)

حَمَّلْتَ بالقلب ما لا يحمل البَدَنُ   والقلب يحمل ما لا تحمل البُـدُن
يا ليتني كنتُ أدنى من يلوذ بكم   عينـاً لانظركـم أم ليتنــي أذن

***

(63)

بيَان بيان الحـقّ أنت بيانـه   وكـل بيـانٍ أنت منـه لسانـهُ
أشرتُ إلى حقّ بحقٍ وكل من   أشـار إلى حقّ فأنْـتَ أَمـانـهُ
تشير بحقّ الحقّ والحق ناطقٌ   وكـل لسـانٍ قد أتـاك أوانـهُ
إذا كان نعْت الحقّ للحقّ بَيّنـاً   فما بالُهُ في الناس يَخْفَـي مكانـه

***

(64)

رقَـيبَـانِ منّي شاهدَانِ لحُبّــهِ   واثنــانِ منّـي شـاهـدَانِ تـرانـي
فما جـال في سرّي لغيرك خاطـر   ولا قـال إلا فـي هـواك لسـانـي
فإنْ رُمْتُ شرقاً أنت في الشرق شرقهُ   وإن رمـتُ غرباً أنت نصب عيانـي
وإن رمتُ فوقاً أنت في الفوق فوقه   وإن رمـتُ تحتا أنـت كـل مكـان
وأنـت محـلّ الكـلّ بـل لا محلّهُ   وأنـت بكـلّ الكلّ ليس بِفـانِ
فقلبي وروحي والضمير وخاطري   وتـرداد أنفـاسي وعقد جنـانـي

***

(65)

أرجعْ إلى الله إنّ الغـايةَ الله   فـلا إلـهَ إذا بالغْتَ إلّا هــو
وإنّه لمَـعَ الخَلْق الذين لهـم   في الميم والعين والتقديس معناه
معناه في شفَتي من حلّ معتقداً   عن التهجّي إلى خلقٍ له فاهـوا
فإنْ تشكّ فدبّرْ قول صاحبكم   حتّى يقول بـنَفْيِ الشكّ هذا هو
فالميـم يفتح أعلاه وأسفلـه   والعيـن بفتـح أقصـاه وأدناه

***

(66)

من رامه بالعقل مسترشدا   أسرحَهُ في حيرة تلهو
قد شاب بالتلبيس أسرارهُ   يقول في حيرته هَلْ هو

***

(67)

لستُ بالتوحيدِ ألهو   غير أنّي عنه أسْهو
كيف أسهو كيف ألهو   وصحيح أنّني هو

***

(68)

يا سرّ سرّي تدقّ حتّى   تُخفي على وهم كل حّيِ
وظاهرا باطناً تجلّى   في كلّ شيء لكل شيء
لئن اعتذاري إليك جهلٌ   وعُظْم شكّي وفرط عيِّ
يا جملةَ الكلّ لسْتَ غيري   فما اعتذاري إذاً إليَّ

***

(69)

اسمٌ مع الخلق قد تاهوا به وَلَهاً   ليعلموا منه معنىً من معانيه
والله لا يصلوا منه إلى سببٍ   حتّى يكون الذي أبداه يبديه

***

يتامى

(1)

مثالُك في عيني وذكُرك في فمي   ومَثْواك في قلبي فأين تغيب

***

(2)

كفرت بدين الله والكفر واجب   لديَّ وعـنـد المسلمين قبـح

****

(3)

فَقُلْتُ اخلّائي هي الشمسُ نورها   قريبٌ ولكنْ في تناولها بُـعْـدٌ

***

(4)

قد كنتُ في نعمة الهوى بطراً   فأدركَتْني عقوبة البطـر

***

(5)

شرطُ المعارف محو الكلّ منك إذا   بدا المريدُ بلحظٍ غير مطـّلع

****

(6)

ذِكْرُهُ ذكري وذكري ذِكْرُهُ   هل يكونـا الذاكران ِإلّا معَا

****

(7)

لا تُعِرّضْ بهذا فهذا بنانٌ   قد خضبناه بدم العشّاق

***

القسم الثاني

آ – قصائد مستعارة من شعراء سابقين

1 – لعبد الصمد بن المضحل البصري

يا بديع الـدلّ و الغنج   لك سلطانٌ على المهج
إن بيتـاً أنت سـاكنه   غير محتاج إلى السُّرُج
وجهك المأمول حجّتنا   يوم يأتي الناس بالحج

***

2 – لحسين بن الضحاك الخالي

تجاسرتُ فكاشفتك   لما غلب الصبر
وما أحسن في مثلك   ما ينتهك الستر
لئن عنقّني الناس   ففي وجهك لي عذر
كانّ البدر محتاج   إلى وجهك يا بدر

***

3 – لشعراء مجهولين

آ

دلالٌ يا حبيبي مستعــارْ   دلال بعد أن شاب العذار
ملكتَ وحرمة الخلوات قلباً   لعبتَ به وقـرّ به القرار
فلا عيـن يؤَرّقها اشتيـاقٌ   ولا قلب يقـلّقه اِدّكـــار
نزلتَ بمنزل الأعداء منّـي   و تبتُ فما نزور ولا تـزار
كما ذهب الحمار بأِمِ عمروٍ   فما رجعَتْ ولا رجع الحمار

ب

وبدا له من بعدما اندمل الهوى   برقٌ تـألّـق موهناً لمعَـانُه
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى ممتنعا أركانه
فأتى لينظر كيف لاح فلم يطق   نظرا إليه وصده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سمحت به أجفانه

3

وطائرٍ حَلَّ أرضَ الشام افرده فَقدْ الأليف لـه نطق بإضمار
بالفهِ كان قصراً صـار مسكنه في غيضَـةِ الأَيكِ في أغصان أشجار
فضلّ يندب حتّى الصبح مُسْعِدَه يبغي الغريبَ ويُهوِى كـل صبّـار
في نطقه رقة تسليك عن حُرَقِ فَيُسْلِيك نَـوْحُهُ نطقـا بإضمــار

***

4 – لأبو العتاهية

آ

النفس للشيء الممنّع مُوْلعة والحادثات أصـولها متفرّعة
والنفس للشيء البعيد مُريدة والنفس للشيء القريب مُضيِّعة
كل يحاول حيلةً يرجو بها دفع المضرّة واجتلاب المنفعة

ب

وما وجدتُ لقلبي راحةً ابـدا وكيـف ذاك وقد هيئتُ للكـدر
لقد ركبت على التغرير واعَجَبَـا ممّن يريد النجا في المسلك الخطر
كـأنّـنـي بين أمواج تقلّبُنــي مقلّب بين إصعادٍ و منحــــدر
الحُزْن في مهجتي والنار في كبدي والدمع يشهد لي فاستشهدوا بصري

ج

الكأس سهّل الشكوى بمُنْتَابكم وما على الكأس من شرّابها درك
هبْني ادّعيتُ بأنّي مدنفٌ سَقِمٌ فما لمضْجع جنبي كـلّه حسـك
هجرٌ يسوء ووصلٌ لا أسرُّ به مالي يدور بمـا لا أشتهي الفلك
فكلما زاد دمعي زادني قلقاً كـأنّـني شمعة تبكي فتنسبك

د

طلبتُ المستقَرَّ بكـل أرض فلم أرَ لي بأرضٍ مستقرّا
أطعتُ مطامعي فاستعبدَتْني ولو أنّي قنعتُ لكنتُ حرَّا

[فنِلْتُ من الزمان ونال منّي وكان مناله حلْواً ومُرَّا]

تعوَّضْتُ مسّ الضرّ حتّى ألفتُه وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

***

5 - لسهل التسترى

قلـوب العارفين لها عيون   ترى ما لا يراه الناظرون
وألسنة بأسـرار تنـاجـي   تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريشٍ   إلى ملكوت ربّ العالمين
فأورثنا الشراب علوم غيبٍ   تشفّ على علوم الأقدمين
شواهـدها عليها ناطقـات   تبطل كل دعوى المدعين

***

6 - لجنيد البغدادي

آ

الوجد يُطرب من في الوجد راحته   والوجد عند وجود الحقّ مفقـود
قد كان يوحشني وجدي و يؤنسني   بروية الوجد من في الوجد موجود

ب

ما لي جَفِيْتَ وكنتُ لا أخفي   ودلائل الهجران لا تُخْفَـى
و أراك تخلطني وتشـربني   ولقدْ عهدتك شاربي صرفا

ج

قد تَحَقَّقْتُ في سرّي   فتناجاك لسانـي
فاجتمعنا بمعــانٍ   وافترقنا لمعـان
فلئن غَيَّبك العـزّة   عن لحظ العيـان
فلقد صيّرك الوجدُ   من الأحشاء دانٍ

***

7 – لأبو الحسن النورى

كـادت سرائر سرّي أن تسرّ بما   أوليتني مـن جميـل لا اسميــه
وصـاح بالسرّ سرٌّ منك يـرقيه   كيـف السرور يسـر دون مبديـه
فظـل يلحظني سرّي لألحظـه   والحـقّ يلحظنـي أن لا أخـلـيـه
وأقبل الوجد يفني الكل من صفتي   وأقبـل الحـقّ يخفيني وأبـديـه

***

8 – لسمنون

آ

متى سهرَتْ عيني لغيرك أو بكـتْ   فلا أعطيت ما مُنِّيَـتْ وَتـمَـنَّـتِ

وإن أَضْمَرَتْ يوماً سواك فلا رَعَتْ   رياض المُنَى من وجْنَتَيْك وجَنَّتِ

ب

لئن أمسيتُ في ثوبي عديم   لقد بليا على حرّ كريم
فلا يحزنك إن أبصرتَ حالاً   مغيّرة عن الحال القديم
فلي نفسٌ ستتلف أو سترقى   لَعَمْرُ أبي إلى أمر جسيم

ج

أرسلتَ تسأل عنّي كيف كنتُ وما   لقيتُ بعدك من همّ ومن حزن
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنتُ ولا   "لا كنتُ" إن كنت أدري كيف لم أكن

***

ب – قصائد مستعارة من شعراء لاحقين

1 – لأبي فراس الحمداني

وليتكَ تحلو والحياة مريرةٌ   وليتكَ ترضى فالأنام غضاب

وليتَ الذي بيني وبينك عامـر وبيني وبين العالمَين خـراب
وليتَ شرابي من ودادك صافيا وشربي من ماء المعين سراب
إذا صحّ منك الودّ فالكلّ هين وكل الذي فوق التراب تـراب

***

2 – لأبو نصر السرّاج

لا تَسْأمنَّ مقالتـي يـا صاح وأقبل هدية ناصـح نصَّاح
ليس التصـوّف حيـلةً وتكلّفـاً وتقشّفاً وتواجداً وصيـاح
ليس التصوّف كِـذبةً وتظالماً وجهـالةً ودعـابة ومِـزاح
بـلْ عفَّة ومُـرُوءَةً وفتـوَّةً وقنـاعةً وطـهـارة وصلاح
وَقْفـاً وعِلمـا واقتدا وصفـا ورضـا وصِدءقاً ووفا وسماح
متيقناً متصبّـراً متشمّـراً مستمطـرا مستقصـّدا سيّاح
متعـزّزا متحـرّزا متواضعـا متبـدّل الأشبـاح و الأرواح
تاء التقى صاد الصفا واء الوفاء فـاء الفتوّة فاغتنمْ يـا صاح
مـن قـام فيه بحقّـه و حقوقه وخـلا عن الحدثان والأشباح
تتشعشع الأنـوار من أسـراره كتشعشع المشكاة في المصباح

3 – لشاعر مجهول

أنت أنا بلا شـكّ فسُبْحانك سُبْحَانـي
فتوحيدك توحيـدي وعصيانك عصياني
واسخاطك اسخاطي وغفرانك غفرانـي
ولِمْ أجْلَد يا ربّـي إذا قيل هو الزانـي

***

4 – لعين القضاة الحمداني

ألقاهُ في البحر مشدوداً وقال له إيَّاك إيَّاك أن تـبـتـلَّ بالماء

***

5 – مدرسة ابن عربي

عَقَدَ الخلائقُ في الإله عقائداً وأنا اعتقدتُ جميع ما عقدوه

***

ج - في لسان حال الحلاّج

1 – في الحبّ الإلـهي والتوق إلى العذاب

1 - القزويني

حَنينُ المُريد بشوق مزيد   أنين المريض لفقد طبيب
قد اشتدّ حال المريدين فيه   لفقد الوصال و بُعْد الحبيب

***

2
الصبَّ إرْثِي مُحِبٌّ   نواله منك عُجْبُ
عذابه فيك عَذبٌ   وبُعده فيك قرب
وأنت عندي كروحي   بل أنت عندي أحبّ
فأنت للعين عين   وأنت للقلب قلب
حتّى من الحبّ أنّي   بما يحبّ محبّ

***

3
لقد أعجبني الوجد   بمن أهواهُ والفقدُ
فلا بعد ولا قرب   ولا وصل ولا صدّ
ولا فوق ولا تحت   ولا قبل ولا بعد
ولا عُرف ولا نكر   ولا يأس ولا وعد
فهذا منتهى سولي   وهو الواحد الفرد

***

4
العين تبصر من تهواه وتفقده   وناظر القلب لا يخلو من النظر
إن كان ليس معي فالذكر منه معي   يراه قلبي وإن قد غاب عن بصري

***

5
أجريتُ فيك دموعي   فالدمع منك عليك
و أنت غاية سؤلي   و الطرف وسنَى عليك
فإن فُنِي فيك بعضي   حُفظتُ منك لديك

***

6
إذا هجرتَ فمن لي   ومن يجمّل كلّي
ومن لروحي وراحي   يا أكثري وأقلّي
أَحَبَّكَ البعض منّي   فقد ذهبت بكلّي
يا كلّ كلّي فكنْ لي   إنْ لم تكن لي فمن لي
يا كل كلّي و أهلي   عند انقطاعي وذلّي

ما لي سوى الروح خذها والـروح جهد المقلّ ِ

***

7

كل حبّ علـى قلبٍ غير حبّك حرام
أنت لي رَوْحٌ وراح وزهر ومـدام
وسـرور و همـوم وشفاء وسقـام
فعلـيَ كلّ هوى بْعدَ هوى فيك سلام

***

8

رماني بالصدود كمـا تراني وألْبَسَنِي الغرام وقد براني
ووقتي كـلّه حلوٌ لـذيـذ إذا ما كان مولائي يـراني
رضيتُ بصنعه في كل حال ولستُ بكاره ما قد رمـاني
فيا من ليس يشهد مـا أراه لقد غيبت عن عين ترانـي

***

9

وقَصَّرْتُ عقلي بالهوية طاليا فعـاد ضعيفاً في المطالب هاريا
وكُنْتَ لربّ العالمين نصرةً فلا تَسْتَعْجِلْ أنْتَ في التطلّب جاريا
تحقَّقْ بأن الحقّ ليس بِمُدرِكٍ فمن يُدْعِيُهُ جاهلا ومـرائيـا
ولكنّه يبـدو مراراً فيختفي فيعرفه مـن كـان بالعلـم خاليا

***

10 - الحمداني

الله يعلمُ مـا فـي النفس جارحةٌ إلّا وذكـرك فيهـا نَيْـلُ ما فيهـا
ومـا تنفّستُ إلّا كنتَ مـع نَفَسِي تجري بك الروح منّي في مجاريها
إن كانت العين مُذ فارقْتَها نظرتْ إلـى سـواك فخانتهـا مـآقيهـا
أو كـانت النفس بعد البُعْد آلفة خـلقاً عـداك مـا نالت أمانيهـا

***

2 – في السكر الروحاني والعذاب

11

لم أَسْلِمِ النفْسَ للأسقام تتْلِفُها   إلّا لعلمي بأنّ الموت يُحييها
ونظرةٌ منك يا سؤلي ويا أملي   أشهى إلي من الدنيا وما فيها
نفْسُ المحبّ على الآلام صابرة   لعلَّ مُسْقمها يوماً يداويها

***

12

نظري بَدْء علّتي   وَيْحَ قلبي وما جنا
يا معين الضنا علّى   أعِنّي على الضنا

***

13

وحُرمة الوِدّ الذي لم يكنْ   يطمع في إفساده الدَهْرُ
ما نالني عند هجوم البلا   بؤسٌ ولا مسّني الضرّ
ما قُدَّ لي عَضْوٌ ولا مفصل   إلّا وفيه لكم ذِكْر

***

14

سَقَوْني وقالوا لا تُغَنّ ولو سقوا   جبال حُنين ما سقيتُ لغنّتِ
تمنَّتْ سُلَيْمَى أن أموت بحبّها   وأسهل شيء عندنا ما تمنّت

***

15

سكرْتَ من المعنى الذي هو طيب   ولكنَّ سُكري بالمحّبة أعْجَب
و ما كلّ سكران يُحَدّ بواجبٍ   ففي الحبّ سكران ولا يتأدّب
تقوم السكارى عن ثمانين جلدة   صحاةً وسكران المحبّة يُصْلَب

***

16

كلّ بلاء علّي منّي   فليتَني قد أخذتُ عنّي

***

17

لاحتْ على دكّة الخمّار أسرار   وأشرقت في وجوه القوم أنوار
وطاف بالبيت ساقٍ لا شبيه له   هذا العقيق وهذا الربع والدار
فاستيقظوا يا سكارى بعد رقدتكم   واستغنموا الوقت إن الدهر غدّار
من باح بالسرّ كان القتل شيمته   بين الرجال ولم يُؤخذ له ثار

***

18

والله لو حلف العشّاق أنّهم   موتى من الحبّ أو قتلى لما حنثوا
قومٌ إذا أهجروا من بعد ما وصلوا   ماتوا وإن عاد وصْل بعدهُ بُعثوا
ترى المحبّين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

***

19

مواجيد أهل الحق تصدق عن وجدي   وأسرار أهل السر مكشوفة عندي

***

20

لِيَكُنْ صدرُك للأسرار   حِصْناً لا يُرام
إنّما ينطقُ بالسرّ   و يُفْشيه الّلئامُ

***

21

وما شرب العشّاق إلّا بَقيّتي   وما وردوا في الحبّ إلّا على ورْدي

***

د – قصائد مكرّسة لموت الحلاّج

1 – لأبو الحسن على مسفر السبتي: قصيدة حول الشهادة

قُلْ لأخـوان رآونـي ميّتـاً فبكوني إذ رآوني حَزَنَـا
أتظنـّون بأنّـي مـيْـتـكم لستُ ذاك الميت والله أنا
أنـا كنزٌ وحـجابي طلسـم من تراب قد تـهيّا للفنــا
أنـا عصفور وهـذا قفصـي كان سجني فأبيتُ السجنا

فاهدموا البيت فرضّوا قفصي   وذروا الكل دفينا بيننا
وقميصي مزّقوه رمماً   وذروا الطلسم بعدي وثنا
فاخلعوا الأجساد عن أنفسكم   تبصروا الحقّ عياناً بيّنا
ما أرى نفسي إلّا أنتمُ   واعتقادي أنكم أنتم أنا
عُنصر الأنفس شيء واحد   وكذا الأجسام جسم عمّنا

***

2 – للعز المقدسي

آ

أباحَتْ دمي إذ باح قلبي بحبّها   وحلّ لها في حكمها ما استحلّت
أباحَتْ حمى لم يرعه الناس قبلها   وحلّت تلاعاً لم تكن قبل حُلّت
و ما كنتُ ممّن يظهر السرّ إنّما   عروس هواها في ضميري تجلّت
فألقَتْ على سرّي أشعّة نورها   فلاح لجلّاسي خفايا طويّتي
وشاهدتها فاستغرقتني حيرة   فغابت بها عن كلّ كلّي وجملتي
وحلّت محلّ الكلّ منّي بكلها   فإياي إيّاها إذا ما تبدّت
ونمّتْ على سرّي فكانت هي التي   عليها بها بين البريّة نَمَّتِ
إذا سَألَت من أنت قلت أنا الذي   بقائي إذا فنيت فيك هويّتي
أنا الحقّ في عشقي كما أن سيّدي   هو الحقّ في حسن بغير معية
فإن كنتُ في سكري شطحتُ فإنّني   حكمت بتمزيق الفؤاد المفتّت
ولا غروَ إن أصليت نار تحرّقي   فنار الهوى للعاشقين أعدّتي
ومن عجب الذين أحبُّهم   وقد أعلقوا أيدي الهوى بأعنّة
سقوني وقالوا لا تُغنّ ولو سقوا   جبال حُنين ما سقوني لغنَّت

***

ب

هيهاتَ ما قتلوه   كلّا ولا صلبوه
لكنهم حين غابوا   عن وجده شبّهوه
أحبابه حين غاروا   عليه قد غيّبوه
سقوه صرفاً وراموا   كتمان ما أوعدوه
فما أطاق ثبوتا   لثقل ما حّملوه
فتاهَ سكراً ونادى   أنا الذي أفردوه
يا لائمي كيف أخفي   وفي الحبّ ما أظهروه
أم كيف يكتم قلباً   بالشوق قد مزّقوه

***

3 – لعلي الششتري

آ – (مستوحاة من قصيدة لابن عربي)

شهدت حقيقتي وعظيم شأني   مقدسة عن إدراك العياني

فقال مترجما عنــي لساني   أنا القرآن والسبع المثاني
وروح الروح لا روح الأواني
أنا فـي مستوى عرشي قـديـم   لِذِي أَنّيّتي العظـمى نـديم
وفـي بلـوى محبّتكـم أهيـم   فـؤادي عنـد معلومي مقيـم
يناجيه وغَيْركم لساني
سترت حقيقتي عـن كـل فهـم   بما أظهرت من وسم ورسم
فإن تطلب ترى صفتي مع اسمي   فلا تنظر بطرفك نحو جسمي
وَعَدِّ عن نعيم بالمغاني
وللطِّلَسْمِ فـي العينَينْ كسِّرْ   وحـقّقْ سرّ معنـائي وحـرِّرْ
وللمسجـور مـن بحري فبحّرْ   وغصْ في بحر ذات الذات تبصرْ
عجايب ليس تبدو للعيان
فـإن شـاهدتني فـي كـل ذات   باسمـآي عيانـا في صفاتـي
ستفهـم مـا خفي فـي الكاينات   وأسـرار تـرآت مبـهمـات
مستَّرةً بأرواح المعاني
فعند شهـودك الأسـرار منهـا   فلا تك غائبا فـي الكون عنهـا
ووَحّـدْ واتّحـدْ كيمـا تكُنْهـا   فمـن فهـم الإشارة فليصنْهـا
و إلا سوف يُقتل بالسنان
فمـن أوْرَى زناد الحـق رُدَّتْ   حقيقتـه وعنـه البـاب سُـدّتْ
وكعبتـه بفـاس الشرع هُـدّتْ   كحـلّاج المحبّـة إذ تـبـدّتْ
له شمس الحقيقة بالتداني
فلمـا إن دنـا منهـا تدلّـي   وبالاسـم العظيم قـد تجلّـى
تـوحّد عنـد ذاك و مـا تولّـى   فقـال أنـا هو الحقّ الذي لا
يُغيّر ذاتَه مرُّ الزمان

***

ب – قصيدة في الإسناد

أرى طالباً منّا الزيادة لا الحُسْنى   بفكر رمى سهماً فعدّا به عَدنا
فنحـن كدود القزّ يحصرنا الذي   صُنعنا بدفع الحر سجناً لنا منّا
وتـيـمَّ أرباب الهرامس كلّهم   وحسبك من سقراط أسكنه الدنا
وجـرّد أمثـال العوالم كـلهـا   وأبدى لأفلاطون في المثل الحسنا
وهام أرسطو أو مشى من هيامه   وبثّ الذي ألقى إليه وما ضنّـا
وكان لذي القرنَيْن عوناً على الذي   تبدا به وهو الذي طلب العينـا
ويفحص عن أسباب ما قد سمعتم   وبالبحث عَطّى عين إذ ردّه عينا
وذّوق للحلاج طعم اتـّحاده   فقال أنـا مـن لا يحيط بـه معْنى
فقيل له أرجع عن مقالك قـال لا   شربت مُداماً كلّ من ذاقها غنّـى
وانطـق للشبلي بالوحـدة التي   أشار بها لمّا محا عنده الكـونـا
وأظهر منه الغافقي لما جنـى   وكشط عن طواره الغيم والدجنـا
وبيّن أسرار العبودية التـي   عن أعرابهم لم يرفع اللبس واللحنا
كشفنا غطاء من تداخل سرّها   فأصبح ظهرا ما رأيتم له بطنـا
هدانا لدين الحقّ من قد تولهَتْ   لـعـزته ألـبابـنـا وله هُدنا
فمن كان يبغي السير للجانب الذي   تقدّس يأتي الآن يأخذه عنّـا

***

4 – يافي

سلامٌ على قومٍ شموس هدىً غدا   بهم في الهوى سكر إلى حشرهم غدا
أدار عليهم كـأس راح محبّــةٍ   جمالٌ سقى الأحباب لـمـا لهم بـدا
به هام بعضٌ في الّرّءىِ وبعضهم   به وله ظنّوا حـبـوبـاً فَـقُيّدا
وبعض من الأكوان بانَ وبعضهم   به جـاوز الإسكارُ حدّاً فَـعَرْبَـدَا
فسلّ عليه الشرع سيفاً حمى به   حدوداً فرا الحلاّج مـاض ٍمـردَّدا
فمات شهيداً عندكم من محقق   وكم عندكم يخرج عن القوم ملحدا
ولكن فتى بسطام موقى بحاله   حمى عن عنايات عزيزاً ممجَّــدا

***

5 – حريفش مكّي: قصة الحلاّج

الخمرُ دِنّي ودِن الخمر ريحانــي   ومجلس الذكر تسبيحي وعيدانــي
ما يشرب الخمر إلّا من يكن بَطَلٌ   ويطلق النوم لم تغمض له أجفاني
طلّقتُ نومي ولم اسلا حلاوتـه   حتّى بقي جفن عيني ساهراً فاني
أنا الحسين أنا الحلاّج يا فقَراء   ذوبّتُ سندانَهم من عظم برهـاني
أنا الذي شاع ذكري بالملا الأعلى   حلجتُ قطنـي بتقـواي وإيمـاني
الباز الأشهبْ أتى نحوي صافحني   والأولياء أتت مـن أرض جيلانِ
شربت من خمرة عن بكرة مُزجَت   شِبه العروس انجلت في وسط بستانِ
ابن الرفاعي رقا وقتاً بها وعلا   وابن أدهم سيّبْ مُلكـه الفانــي
افتوا علّي وقالوا قد طغى و بغى   حاشا من البغي لكن صرتُ ربّانــي
طَلْع المؤذّنْ يوذّنْ قلت ما حكيتْ   انّي سمعت لديك العرش بـآذاني
من خاض بحر الهوى من غير معرفة   يبلعه الحوتُ يبقى يـونس الثانــي
من خاض بحر الهوى يُخْرِجُ جواهرها   ألا ينادي عليه يا بطّـال كسلاني
من باع دُرّاً إلى الفحام ضَـيَّـعْهُ   الدر ينباعُ بالقسطاس يا أخواني
لا تَخْدَعَنَّ قليل الأصـل تظّـلمه   وأغلـظْ عليـه طوعـاً بإذعـان
أنّ الحديدَ تـذيب النـار قـوّتـه   و لو سكبتَ عليه البحـر ما لانِ
يا طالب النصرَ من أعداك مُتْ كَمداً   كطالب الشُهْدَ من أنياب ثعبانِ
يا قـارئ العلم بيـن الجاهلين خَطـأ   كواقد الشمع في قاعات عميان
يا واضع السرّ مع مـن ليس يكْتمـه   كواضع الريح في أكمام عريانِ
من باح بالسرّ كـان القتل شيمته   بين الرجال ويُضحى اليوم خجلانِ
شدّوا وثـاقي وقـالوا اقتلونّ لـــه   حلاّج حلاّج أنت في البلدْ زانــي
واللهِ واللهِ والـرحـمن خـالقنـا   لولا يقولوا دعـا الحلاج بهتـانِ
أصيح فيهم كما صاح الفَتَى البَـدَوي   وأهدم بغداد ما خلا لـهـا اركـانِ
لكن سمعت رجـال الله قـائلـةْ   فمُتْ شهيداً كما ماتْ ابـن عفـانِ
والخضـر واقفْ قبالي لا يكلّمـني   والأربعين يقولـوا هكـذا كـانــي
حتّى أتى القطب والأقطاب تـتبعه   ثلاث مائةْ وهـم يتلـون قـرآنــي
أنا مكتَّفْ وسيف الشـرع يلفحْنــي   سبعين مرّةْ بـأذن الله مـا ذانــي
صرخْتُ بالسيف قال السيف ألفْ نعمْ   لبّيك لبّيك يا حـلاجُ يـا دانــي
و هـذه قصّة الحلاّج قـد فـرغَـتْ   هـم أحرقـوه وكـانوا الكل عميانِ
بعـد الصلاة علـى المختار سيّدِنـا   خير البريّةْ بُعِثْ مـن نسْل عدنانِ
والمسلمين عليهم دائمـاً ابَـداً   منّي سلامٌ فـهمْ أهلي و جيرانــي